

أبو عبيدة (معمربن المثنى)

حديث يوم الكلاب

قال أبو عبيدة: وكان من حديث يوم الكلاب الأول فيما حدث خراش وابن الكلبي هشام بن محمد، أن الحارث الملك بن عمرو المقصور بن حجر آكل المرار الكندي كان فرق بينه في قبائل العرب، قال فصار شرحبيل بن الحارث في بكر ابن وائل وحنظلة بن مالك وبني زيد بن تميم وبني أسيد وطوائف من بني عمرو ابن تميم الرباب، قال: وصار سلمة بن الحارث في بني تغلب والنمير ابن قاسط وسعد بن زيد مناة بن تميم. قال: وكانت طوائف من بني دارم بن مالك بن حنظلة من ولد أسيدة بنت عمرو بن عامر بن امرئ القيس بن قتيبة بن النمر بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحافي بن قضاعة مع إخوتهم التغلبيين لزمهم في بني تغلب. . . . ومع سلمة الصنائع وهم الذين يقال لهم بنو ربيعة رجال كانوا يكونون مع الملوك من شذاذ الناس أي ممن شذ منهم أي طرداء الأحياء. قال: فلما هلك أبوهم الحارث بن عمرو تشتت أمرهم وتفرقت كلمتهم، قال: ومشت الرجال بينهم فكانت المغادرة بين الأحياء التي معهم يغير بعضهم على بعض وتفاقم أمرهم حتى جمع كل واحد منهم لصاحبه الجموع وزحف بعضهم إلى بعض بالجيوش. قال: فسارت بكر بن وائل ومن معهم من قبائل حنظلة وبني أسيد بن عمرو بن تميم وطوائف من بني عمرو بن تميم والرباب فنزلت الكلاب، وهو ماء بين البصرة والكوفة. وذلك على بضع عشرة ليلة من اليمامة (على سبع ليال أو نحوها) وأقبل سلمة في بني تغلب

والنمر وأحلافها وفي بني سعد بن زيد مائة بن تميم ومن كان معهم من قبائل حنظلة وفي الصنائع (قال وهم أتباع الملوك) يريدون الكلاب . قال : وكان نصحاء شرحبيل وسلمة قد نهوهما عن التفاسد والتحاسد وحذروهما الحرب وعثراتها وسوء مغبتها . قال : فلم يقبلا ذلك وأبيا إلا التابع واللجاجة ، فقال سلمة في ذلك :

أتى علي استتب لومكما ولم تلوما عمراً ولا عُصما
كلا يمين الإله يجمعنا شيء وأخوالنا بني جُشما
حتى تزور الضباعُ ملحمة كانها من ثمود أو إرما

قال : وكان أول من ورد الكلاب من جموع سلمة بن الحارث الملك سفيان ابن مجاشع جد الفرزدق . . قال : وكان نازلاً في بني تغلب مع إخوته لأمه ، قال : فقتلت بكر بن وائل ستة بنين له فيهم مرة بن سفيان (قتله سالم بن كعب ابن عمر بن أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان) وقرط بن سفيان وبيبة بن قُرط بن سفيان ، فقال سفيان حين قُتل ابنه مرة :

والجوف جوف حران الشيخ شيخ ثكلان
إلفي إليك مرة بن سفيان والورد ورد عجلان

قال : وفي ذلك اليوم قال الفرزدق :

فوارس منهم عدس بن زيد وسفيان الذي ورد الكلابا

ويروي شيوخ . قال : وأول من ورد الماء من تغلب رجلان رجل من بني عبيد

ابن جُشم على فرس له يقال له الخزوب وبه كان يُعرف وهو نعمان بن قُريع بن حارثة بن معاوية بن عبيد بن جشم . قال : ثم ورد سلمة ببني تغلب وسعد وجماعة الناس ، قال : وعلى بني تغلب السفاح وهو سلمة بن خالد بن زهير بن كعب بن أسامة بن مالك بن بكر بن حبيب ، وهو يقول :

إن الكلاب ماؤنا فخلوه وساجراً والله لن تحلوه

قال : فاقتتل القوم قتالاً شديداً وثبت بعضهم لبعض ، قال حتى إذا كان آخر النهار من ذلك اليوم خذلت بنو حنظلة وعمرو بن تميم والرباب بكر بن وائل ، قال : وانصرفت بنو سعد وألفافها عن بني تغلب وصبر ابنا وائل وتغلب ليس معهم غيرهم حتى غشيهم الليل ونادى منادي شرحبيل : من أتاني برأس سلمة فله مائة من الإبل ، ونادى منادي سلمة : من أتاني برأس شرحبيل فله مائة من الإبل . قال : وكان شرحبيل نازلاً في بني حنظلة وعمرو بن تميم والرباب ففروا عنه ، قال : وعرف أبو حنش وهو عصم بن النعمان بن مالك بن عتاب بن سعد ابن زهير بن جشم بن بكر مكان شرحبيل فقصد نحوه ، قال : فلما نظر إليه رآه جالساً وطوائف من الناس يقتتلون حوله فطعنه بالرمح ثم نزل إليه فاحتز رأسه وأتى به سلمة والناس حوله فطرح الرأس بين يديه ، فانحازت بكر بن وائل لما قتل صاحبهم من غير هزيمة تذكر .

قال : وقال أناس آخرون : إن بني حنظلة وعمرو بن تميم والرباب لما انهزمت خرج معهم شرحبيل ولحقه ذو السنينة ، وذلك أنه كانت له سن زائدة واسمه حبيب بن بعيج بن عتبة بن سعد بن زهير بن جشم . . . ، قال : فالتفت إليه فضرب ذا السنينة على ركبته فأطن رجله (وكان ذو السنينة أخا أبي حنش لأمه

أمهما سلمى بنت عدي بن ربيعة أخي كليب ومهلل) فقال ذو السنينة: يا أبا حنش قتلني الرجل، فقال أبو حنش: قتلني الله إن لم أقتله، قال: ومات ذو السنينة فحمل أبو حنش على شرحبيل فأدركه فالتفت إليه شرحبيل فقال: يا أبا حنش اللبن اللبن، قال: قد هرقت لنا لبنا كثيراً، فقال: يا أبا حنش أملك بسوقة؟ قال: إنه كان ملكي، يعني أخاه، قال: فطعنه أبو حنش فأصاب رادفة سرجه فورعت عنه ثم أهوى له فألقاه عن الفرس ثم نزل إليه فاحتز رأسه وبعث به إلى سلمة مع ابن عم له يقال له أبو أجأ بن كعب بن مالك بن عتاب فأتى به سلمة فطرحه بين يديه، فقال سلمة: لو كنت ألقيته إلقاء رقيقاً، قال: ما صنع به وهو حي شر من هذا، قال: وعرف القوم الندامة في وجهه والجزع على أخيه، وهرب أبو حنش فتنحى عنه. فقال معدي كرب أخو شرحبيل، وكان صاحب سلامة معتزلاً عن حربهما، ويقال إن الشعر لسلمة لا لمعدي كرب:

ألا أبلغ أبا حنش رسولاً	فمالك لا تجيء إلى الثواب
تعلم أن خير الناس طراً	قتيل بين أحجار الكلاب
تداعت حوله جشم بن بكر	وأسلمه جعاسيس الرباب
قتيل ما قتيلك يا بن سلمى	تضر به صديقك أو تحابي

فأجابه أبو حنش فقال:

أحاذر أن أجيئك ثم تحبو	حباء أيبك يوم صنبيعات
وكانت غدرة شنعاء سارت	تقلدها أبوك إلى الممات
تتابع سبعة كانوا لأم	كأجرام النعام الحائرات

قال: وكان أخذ درع شرحبيل منه فطلبها منه أبو حنش ورهطه فأبى أن يدفعها إليهم، فأغار رهط أبي حنش فأخذوا إيلاً لرجل من بني تميم بن أسامة ابن مالك رهط معدي كرب، فقال الذي أخذت إيله:

ألا أبلغ بني تميم رسولاً فإني قد كبرت وطال عمري
وإن الذهب قد علمت معد محبسة لدى عصم بن عمرو
وطار بها بنو حسان عني بأفراس لهم حو وشقر
وأرماع لهم سمر طوال كأن كعوبهن حباب قطر

قال: وبلغ الخبر غلفاء معدي كرب أخا شرحبيل فقال يرثي أخاه ويذكر مصابه:

إن جنبي عن الفراش لناب كتجافي الأسر فوق الطراب
قوله الأسر من الشرر وهو داء يأخذ البعير في كركرته فتسيل ماء فإذا برك في موضع غليظ تجافي لشدة الوجع:

من حديث نمي إلي فما تر قأ عيني وما أسيغ شرابي
مرة كالذعاف أكتمها النا س على حر ملة كالشهاب
من شرحبيل إذ تعاوره الأرماع من بعد لذة وشباب
يا بن أمي ولو شهدتك إذ تد عو تميماً وأنت غير مجاب
لتشدت من ورائك حتى تبلغ الرحب أو تَبز ثيابي
أحسننت وائل وعاداتها الإحسان بالحنو يوم ضرب الرقاب

ويوم فرت بنو تميم وولت
 ويحكم يا بني أسيد إني
 أين مُعطيكم الجزيل وحابسكم
 والثمانين قد تخيرها الراعي
 فارس يضرب الكتبية بالسيف
 على نحره كنضح المـلاب

قوله (أجزرونا) أبا سلمى يقول: صيرونا جزراً للأعداء، و (أبو سلمى) من بني رياح أحد بني هرمي بن رياح، و (سفيان) بن حارثة بن سليط بن يربوع، وفي نسخة ابن سعدان (جارية بن سليط). وقال السفاح في ذلك أيضاً:

وردنا الكلاب على قومنا
 وأحسن ورد لهيجا شعارا
 وقد جمعوا جمعهم كله
 وجمع الرباب لنا مستعارا

وقال أبو اللحام التغلبي واسمه سريع بن عمرو، وعمرو هو اللحام بن الحارث بن مالك بن ثعلبة بن بكر بن حبيب:

ربعنا بالكلاب وما ريعتم
 سقينا الإبل غباً بعد عشر
 وجرّد كالقداح مسومات
 بكل فتى أطار الغزو عنه
 وأنهينا الهجائن بالصعيد
 وغباً بالمزاد من الجلود
 شواذب محلسات باللبود
 بشاشة كل سربال جديد

وقال جابر بن حنى في ذلك أيضاً:

ويوم الكلاب قد أزالتماحنا
 شرحيل إذ آلى ألية مقسم

ليستلبن أذراعنا فأزاله
أبو حنش عن ظهر شقاء صلدم
تناوله بالرمح ثم ثنى لــــه
فخر صريعاً لليدين وللضم
وكان معادينا تهر كلابــــه
مخافة جمع ذي زُهاء عرمرم

قال: فلما قتل شرحبيل قامت بنو سعد بن زيد مناة دون أهله وعياله فمنعوهوم وحالوا بين الناس وبينهم حتى ألحقوهم بقومهم ومأمئهم، قال: وولي ذلك عوير بن شجنة بن الحارث بن عطار بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة، قال: فحشد له في ذلك رهطه ونهضوا معه فيه فأثنى عليه امرؤ القيس ابن حجر بن الحارث بذلك في أشعاره وامتدحهم وذكر ما كان من كريم وفائهم وفعالهم ووصف ما كان من صبر قبائل بكر بن وائل وما كان من محاماتهم وخص بني قرآن وهو عبدالله بن عبدالعزيز بن سحيم بن مرة بن الدؤل بن حنيفة ومحرق بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة وبني مرثد بن سعد ابن مالك، قال: وهجا بني حنظلة وذكر ما كان من خذلانهم وفرارهم وإسلامهم شرحبيل وانهزامهم وفصل قبائل حنظلة قبيلة فعم البراجم وغيرهم من بني دارم بن مالك بن حنظلة وخص قبائل نهشل وقطن بن نهشل وأمهما مادية المنقرية (امرأة من الأرقام من بني تغلب) الذي قال امرؤ القيس:

بلغ ولا تترك بني ابنة منقر
وفقرهم إني أفقر جابرا

قوله (فقرهم) يقول: فصلهم فقرة فقرة أي قبيلة قبيلة، يعني بني عوف رهط عوير بن شجنة وهو عوف بن كعب بن سعد. وقال امرؤ القيس:

إن بني عوف ابتنوا حسباً
ضيعه الدخللون إذ غدروا
أدوا إلى جارهم ذمامهم
ولم يضيعوا بالغيب من نصروا

ويروى خفارته، ويروى ولم يضع بالمغيب.

لم يفعلوا فعل حنظل بهم
وقال امرؤ القيس أيضاً:

أحنظلُ لو حاميتم وكرمتم
وقال أيضاً:

ألا قبح الله البراجم كلها
وقبح يربوعاً وجدع دارما

قال أبو عبيدة : وكان الكلاب يوماً من أيام العرب المشهورة المذكورة فقال فيه شعراء الإسلام وافتخروا بفضلهم فيه وعير بعضهم بعضاً فقال الأخطل في ذلك ، مما يدل على تصديقه :

ابني كليب إن عمي اللذا
وأخوهما السفاح ظمماً خيله
قتلا الملوك وفككا الأغلالا
حتى وردن جبي الكلاب نهالا

(كتاب النقائض، نقائض جرير والفرزدق،

باعثاء بفان، ليدن ١٩٠٥ ص ٤٥٢-٤٦١)

ذوقار

قال أبو عثمان : حدثنا أبو عبيدة [قال : حدثنا أبو المختار فراس بن خندق القيسي قيس بن ثعلبة وعدة من علماء العرب قد سماهم فراس بن خندق وأثبت الحديث الأصمعي فيما أثبتته وعرفه] إن الذي جري يوم ذي قار قتل النعمان بن المنذر اللخمي عدي بن زيد العبادي، قال : وكان عدي من تراجمة برواز كسرى بن هرمز، قال : فلما قتل النعمان عدياً كان أخو عدي وابنه زيد

عند كسرى وحرّفا كتاب اعتذاره إليه بشيء غضب منه كسرى فأمر بقتله، وكان النعمان لما خاف كسرى استودع هانئ بن مسعود بن هانئ بن عامر الخصيب (قال: الخصيب لقبه وهو الخصيب بن عمرو المزدلف، والمزدلف لقبه وهو المزدلف بن أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان بن ثعلبة) حلقتة ونعمه وسلاحاً غير ذلك، قال: وذلك أن النعمان بناه بنتين له. قال أبو عبيدة: قال بعضهم: لم يدرك هانئ بن مسعود هذا الأمر، قال: وهو أثبت عند أبي عبيدة... قال: فلما قتل كسرى النعمان استعمل إياس بن قبيصة الطائي على الحيرة وما كان عليه (النعمان). قال أبو عبيدة: قال عمر وكان كسرى لما هرب من بهرام جوبين يوم هزمه بالهزدان مر كسرى بإياس فأهدى له فرساً وجزوراً فشكر ذلك له كسرى، قال: فبعث كسرى إلى إياس أين تركة النعمان؟ قال: قد خزنها (يريد قد أحرزها) في بكر بن وائل، قال: فأمر كسرى أن يضم ما كان للنعمان ويبعث به إليه، قال: فبعث إياس إلى هانئ أن أرسل إلي بما استودعك النعمان من الدروع وغيرها، فالمقلل يقول: كانت أربعمائة درع والمكثر يقول: ثمانمائة درع فأبى أن يسلم خفارته، قال: فلما منعها هانئ غضب كسرى فأظهر أنه مستأصل بكر بن وائل وعنده النعمان بن زرعة التغلبي وهو يحب هلاك بكر، فقال لكسرى: يا خير الملوك أدلك على عدو يطلبهم وعلى غرة بكر، قال: نعم، قال: أمهلنا حتى نقيظ فإنهم لو قد قاطوا تساقطوا على ماء لهم يقال له: ذو قار تساقط الفراش في النار فأخذتهم كيف شئت وأنا عندك إلى أن أكفيكهم ومع ذلك فإن مطالبهم في ذلك الوقت كثير وذلك مما يوهن كيدهم ويكون أيسر على الملك مطالبهم لمن يشغلهم ممن يطلبهم بالذحل، فترجموا له قوله (تساقط الفراش في النار) فأقرهم حتى إذا قاطوا جاءت بكر بن وائل فنزلت بالحنو حنو

ذي قار وهو من ذي قار على مسيرة ليلة . قال : فأرسل كسرى إليهم النعمان بن زرعة أن اختاروا من ثلاث خصال واحدة : إما أن تعطوا بأيديكم فيحكم فيكم الملك بما شاء ، وإما أن تُعروا الديار ، وأما أن تأذنوا بالحرب ، قال : فنزل النعمان على هانئ فقال : أنا رسول الملك إليكم أخيركم إحدى ثلاث خصال إما كذا وإما كذا وإما كذا على ما مضى . قال : فتوأمروا بينهم ثم إنهم اختاروا الحرب فولوا أمرهم حنظلة بن ثعلبة بن سيار العجلي وكانوا يتيمنون به في حروبهم وما ينوبهم فقال لهم : إنني لا أرى إلا القتال فلأن يموت الرجل كريماً خير له من أن يحيا مذموماً ؛ لأنكم إن أعطيتم بأيديكم قُتلتم وسييت ذرايكم ، وإن هربتم قتلكم العطش وتلقاكم تميم فتهلككم فأذنوا الملك بحرب . قال : فبعث كسرى إلى إياس وإلى الهامز التستري وكان مسلمة بالقطقانة وإلى خنابزين وكان مسلمة أيضاً ببارق . قيل : وكتب كسرى إلى قيس بن مسعود بن قيس بن خالد ذي الجدين وكان كسرى استعمله على طف سفوان أن يوافقوا إياساً فإذا اجتمعوا فإياس على الناس . قال : وجاءت الفرس ومعها الجنود والفيول عليها الأساورة (وقد بعث النبي ﷺ قال وقد رق أمر الفرس وأدبر ملكهم فقال النبي ﷺ في ذلك : اليوم انتصفت العرب من العجم بي قال : فحفظ ذلك اليوم فإذا هو يوم الواقعة) . قال : فلما دنت جنود الفرس من بكر بمن معها انسل قيس بن مسعود ليلاً فأتى هانئاً فقال : اعط قومك سلاح النعمان فيقوا به أنفسهم فإن هلكوا كان تبعاً لأنفسهم وكنت قد أخذت بالحزم وإن ظهروا ردوه عليك ، ففعل وقسم الدروع والسلاح في ذي القوة والجلد من قومه . فلما دنا الجمع من بكر بن وائل قال لهم هانئ : يا معشر بكر إنه لا طاقة لكم بجنود كسرى ومن معهم من العرب فاركبوا الفلاة ، قال فتسارع الناس إلى ذلك فوثب حنظلة بن سيار فقال

له : إنما أردت نجاتنا فلم تزد على أن ألقيتنا في التهلكة فرد عليه الناس فقطع
 وُضُن الهوادج، قال : وإنما فعل ذلك لئلا تستطيع بكر أن تسوق بالنساء إن
 هربوا فسُمي مقطع الوضن قال : ويقال مقطع البطن (والبطن حزم الأقتاب
 والوضن حزم الرحال، قال أبو عثمان : وسمعت أم صبيح الكلابين ويقال لها
 الذلفاء وكانت من أفصح الناس وسألتها عن النسوع فقالت : إنا لنضنها معشر
 النساء). وضرب حنظلة قبة على نفسه ببطحاء ذي قار وآلى أن لا يفر حتى تفر
 القبة فمضى من مضى من الناس ورجع أكثرهم، قال : فاستقوا ماء لنصف
 شهر، قال : فاتتهم العجم فقاتلتهم بالحنو حنو قراقر فجزعت العجم من
 العطش فهربت فتقدمت عجل وأبلى يومئذ بلاء حسناً، قال : واضطمت
 عليهم جنود العجم فقال الناس هلكت عجل، ثم حملت بكر فوجدت عجلاً
 ثابتة تقاتل وامرأة منهم تقول :

إن يظفروا يحرزوا فينا الغرل إيه فدى أبي لكم بني عجل
 وتقول أيضاً تحرض الناس :

إن تهزموا نعانتق ونفرش النمارق
 أو تهزموا نفارق فراق غير وامق

قال : فقاتلوهم بالجبابات يوماً ثم عطشت الأعاجم فمالوا إلى بطحاء ذي
 قار، قال : وأرسلت إياد إلى بكر سرأ وكانوا أعواناً على بكر مع إياس بن
 قبيصة أي الأمرين أعجب إليكم أن نظير تحت ليلتنا فنذهب أو نقيم حتى نفر
 حتى تلاقون القوم، قالوا : بل تقيمون فإذا التقى الناس انهزمتهم بهم .
 فصبحتهم بكر بن وائل والظعن واقفة يذمرن الرجال على القتال ويحضضنهم

على لقائهم والصبر على ذلك ، وقال يزيد بن حمار السكوني وكان حليفاً لبني شيبان : أطيعوني واكنوا لهم كميناً ففعلوا وجعلوا يزيد بن حمار رأسهم فكنوا في مكان من ذي قار يسمى إلى اليوم الخبيء قال : فاجتلدوا وعلى ميمنة هانيء بن قبيصة رئيس بكر يزيد بن مسهر الشيباني وعلى ميسرته حنظلة بن ثعلبة بن سيار العجلي ، وجعل الناس يتحاضون ويرجزون فقال حنظلة بن ثعلبة :

قد جد استياعكم فجدّوا ما علتي وأنا مؤد جلد

(قال : مؤد أي ذو أداة من السلاح تامة يقول فلا عذر لي)

والقوس فيها وتر عرد مثل ذراع البكر أو أشد
قد جعلت أخبار قومي تبدو إن المنايا ليس منها بُد
هذا عبيد تحته ألد يقدمه ليس له مَرَد
حتى يعود كالكميت الورد خلوا بني شيبان فاستبدوا
نفسى فدتكم وأبي والجد

وقال حنظلة أيضاً :

يا قوم طيبوا بالقتال نفسا أجدرُ يوم أن تفلوا الفرسا

وقال يزيد بن المكسر بن حنظلة بن ثعلبة بن سيار :

من فر منكم فر عن حريمه وجاره وفر عن نديمه
إن ابن سيار على شكيمه إن الشراك قُدَّ من أديمه
وكلهم يجري على قديمه من قارح الهجنة أو صميمه

قال فراس : ثم صيروا الأمر بعد هانىء إلى حنظلة بن ثعلبة بن سيار فمال إلى مارية ابنته وهي أم عشرة نفر أحدهم جابر بن أبحر فقطع وضينها فوقعت إلى الأرض وقطع وضمن النساء فوقعن إلى الأرض ، ونادت بنت القرين الشيبانية ، حين وقعت النساء إلى الأرض :

ويها بني شيبان صفاً بعد صف إن تُهزموا يصبغوا فينا القلف

فقطعت سبعمائة من بني شيبان أقبيتهم من قبل مناكبهم وذلك لأن تخف أيديهم لضرب السيوف فجالدوهم ونادى الها مرز مرد و مرد (يريد رجل ورجل) فقال برد بن حارث الإشكري : ما يقول؟ قال : يدعو إلى البراز رجل ورجل ، قال : وأبيكم لقد أنصف . قال : فحمل عليه برد بن حارثة الإشكري فقتله ، ويقال يزيد بن حارثة . فقال سويد بن أبي كاهل في ذلك :

منا يزيد إذا تحدى جموعكم قلم تقربوه المرزبان المسودا

ويروى المسورا . قال : ونادى حنظلة بن ثعلبة بن سيار : يا قوم لا تقفوا لهم فيستغرقكم الشباب ، فحملت ميسرة بكر وعليه حنظلة على ميمنة الجيش وقد قتل يزيد رئيسهم الهامرز ، وحملت ميمنة بكر وعليها يزيد بن مسهر على ميسرة الجيش وعليهم خنازين . قال : وخرج عليهم الكمين من حبيء ذي قار من ورائهم وعليهم يزيد بن حمار فشدوا على قلب الجيش قال : وفيهم إياس ابن قبيصة وولت إياد منهم وانهزمت الفرس . قال سليط : فحدثنا أسراؤنا الذين كانوا فيهم يومئذ قالوا : فلما التقى الناس وولت الفرس منهزمة قلنا يريدون الماء فلما قطعوا الوادي وصاروا من ورائه وجازوا الماء قلنا هي الهزيمة ، قال : وذاك في حد الظهرية في يوم قائظ شديد حره ، قال : فأقبلت كتيبة عجل

كانهم طن قصب لا يفوت بعضهم بعضاً يظرفون لا يعنون هرباً ولا يخالطون القوم ثم تذا مروا (يقول لام بعضهم بعضاً) فرجعوا فرموا بجباههم فلم يكن إلا إياها فأمالوا بأيديهم فولوا فقتلوا الفرس و من معهم بين بطحاء ذي قار حتى بلغوا الراحضة . قال فراس : فحدثت أنهم تبعهم تسعون فارساً لم ينظروا إلى سلب ولا إلى شيء حتى تعارفوا بأدم وهو قريب من ذي قار فوجد منهم ثلاثون فارساً من بني عجل وستون فارساً من سائر بكر وقتلوا خنابزين قتله حنظلة بن ثعلبة بن سيار ، وقال ميمون أعشى بني قيس ثعلبة يمدح بني شيبان خاصة في قوله :

فدى لبني ذهل بن شيبان ناقتي	وراكبها يوم اللقاء وقلت
هم ضربوا بالحنو حنو قراقر	مقدمه الهامرز حتى تولت
وأفلتنا قيس وقلت لعله	يثيب وإن كان به النعل زلت

قال : فهذا يدل على أن قيساً شهد ذي قار . وقال بكير : أصم بني الحارث بن عباد ، يمدح شيبان :

إن كنت ساقية المدامة أهلها	فاسقي على كرم بني همام
وأباربيعة كلها ومحلماً	سبقا بغاية أمجد الأيام
ضربوا بني الأمرار يوم لقوهم	بالمشرفي على مقيل الهام
عرباً ثلاثة ألف وكتيبة	ألفين أعجم من بني الفدام
شد ابن قيس شدة ذهبت لها	ذكرى له في معرق وشام
عمرو وما عمرو بقحم دالف	فيها ولا غمر ولا بغلام

فلما مدح الأعشى والأصم بني شيبان خاصة غضبت للهازم فقال أبو كلبة
أحد بني قيس بن ثعلبة يؤنبهما بذلك :

جدّعتما شاعري قوم ذوي حسب حزت أنوفكما حزاً بمنشار
أعني الأصم وأعشاننا إذا اجتمعنا فلو استعاننا على سمع وإبصار
لولا فوارس لا ميل ولا عزل من للهازم ما قاطوا بذني قار
نحن أتيناهم من عند أشملمهم كما تلبس وراذ بصـدار

قال أبو عمرو بن العلاء فلما بلغ الأعشى قول أبي كلبة قال : صدق . . .
وقال أعشى أبي ربيعة :

ونحن غداة ذي قار أقمنا وقد شهد القبائل محلينا
وقد جاؤوا بها جاؤاء فلقاً ململمة كتابها طحونا
ليوم كريهة حتى تجلت ظلال دجاه عنا مصلتينا
فولونا الدوابر واتقونا بنعمان بن زرعة أكتعينا
وذدنا عارض الأحرار ورداً كما ورد القطا الشمذ المعينا

وقال أبو النجم العجلي في الإسلام يفخر بيوم ذي قار :

نحن أبحنا الريف للممتار يوم استلبنا راية الجبار
بأسفل البطحاء من ذي قار

وقال العذيل بن الفرخ العجلي :

ما أوقد الناس من نار لمكرمة إلا اصطلينا وكنا موقدي النار

وما يعدون من يوم سمعت به للناس أفضل من يوم بذى قار
 جئنا بأسلابهم والخييل عابسة يوم استلبنا لكسرى كل أسوار
 وقال الأخطل ، يفخر على جرير أنهم شهدوا يوم ذى قار :
 هلا كفيتم معداً يوم معضلة كما كفينا معداً يوم ذى قار
 جاءت كتائب كسرى وهي مغضبة فاستأصلوها وأردوا كل جبار
 قال أبو عبيدة وقال عامر ومسمع قد أدرك الحوفزان بن شريك يوم ذى قار
 وقاتل وقال في ذلك الشعر :
 لما رأيت الخييل شك نحورها حراب ونشاب صبرت جناحا
 (جناح اسم فرسه)

على الموت حتى أنزل الله نصره وود جناح لو قضى فاستراحا
 وقال عائذ الله : ويقال بل قالها رجل من بني شيبان آخر ولم يدرك الحوفزان
 ذى قار وقالها بشر أخو الحوفزان . قال : وأما من شهد يوم ذى قار من تميم فإن
 أبا عبيدة حدثنا قال : أخبرني سليط قال : لما كان يوم ذى قار وكان في بكر أسراء
 من تميم أكثرها من بني يربوع قالوا لهم : خلونا نقاتل معكم فإننا طلقنا خير لكم
 من أسراء ، قالوا : إنا نخاف أن تهربوا فتوائقوا بأن لا تفعلوا فوائقوهم أن يرجع
 من لم يقتل منهم حتى يضع يده في أيديهم ، قال : فخلوهم فقاتلوا معهم . قال
 أبو عبيدة فحدثني بتصديق هذا مسحل بن زيداء بنت جرير قال : أخبرنا جرير
 قال : لما كان يوم ذى قار وكان في بكر أسراء من تميم قريب مائتي أسير وفيهم
 جزء بن سعد الرياحي أحد بني رياح بن يربوع أسيراً فقال : خلونا نقاتل معكم

فإننا نذب عن أنفسنا، قال: فوائقوهم ليرجعن إليهم إن سلموا وقالوا لهم: نخاف أن لا تناصحوا، فقالوا لهم: دعونا فلنعلم حتى تروا مكاننا ويرى غناؤنا قال: فأعلموا فذلك قول جرير:

منا فوارس ذي بهذا وذو نجب والمعلمون صباحاً يوم ذي قار
مسترعفات بجزء في أوائلها وقعنّب وحماة غير أغمار

قال: وأما عامر بن عبد الملك فزعم أن فارساً لما غزتهم تسامعت بذلك العرب فجاء ثمانون من أهل بيت من بني يربوع وناس من بني ضبة فقالوا: نكون قريباً فإذا انهزمت بكر أغرنا فيمن يغير فبلغ ذلك بكرأ فقالوا: نبدأ بهؤلاء فوجهوا إليهم المكسّر الأضجم الضراري وأسروا بقية القوم فلم يزالوا عندهم حتى التقوا وفارس فحلّوهم من وثاقهم فقاتلوا معهم. قال عامر بن عبد الملك المسمعي: فلم تفخر تميم بهذا. قال ضرار بن سلامة العجلي في ذلك:

كسونا الأضجم الضبي لما أتانا حد مصقول رقيق
وفرت ضبة الجعراء لما أجد بهن إثعاب الوسيق
أسرنا منهم تسعين كهلاً نقودهم إلى وضح الطريق
وجالوا كالنعام وأسلمونا إلى خيل مسومة ونوق

(النقائض ص ٦٣٨-٦٤٨)

[أخبار] عبيد الله بن زياد

وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى في روايته: عاد ابن زياد عبد الله بن نافع بن الحارث بن كلدة الثقفي ثم خرج من عنده فلقيه حمران مولاه وكان قد وجهه

إلى يزيد فأسر إليه موت يزيد واختلاف أهل الشام، فأمر عبيد الله فنودي الصلاة جامعة، ثم خطب فنعى يزيد وحض الناس على الطاعة وقال: اختاروا لأنفسكم فما سحوه ثم بدا لهم في بيعته وجعلوا يمسخون أيديهم منها بالحيطان. وكان في سجنه نافع بن الأزرق الحنفي ونجدة بن عامر الحنفي وعبد الله بن إياض وعبيدة بن هلال العنزى وعمرو القنا بن عميرة من بني ملادس بن عيب شمس بن سعد بن زيد مناة بن تميم وكانوا غضبوا للبيت فقاتلوا مع ابن الزبير وهم لا يرون نصره ولكنهم احتسبوا في جهاد أهل الشام، ثم إنهم قدموا البصرة فالتقطهم ابن زياد وحبسهم، فيقال: إنه كان في سجنه من الخوارج مائة وأربعون.

قال أبو عبيدة في بعض روايته: لما كان موت يزيد بن معاوية وإظهار ابن زياد إياه بالبصرة خرج سلمة بن ذؤيب الرياحي الفقيه وهو على فرس له شهباء وقد لبس سلاحه ومعه لواء فدعا الناس إلى بيعة ابن الزبير وطاعته وقال: عليكم بالعائذ بالبيت وابن حواري رسول الله ﷺ فبايعه جماعة يسيرة، وبلغ ابن زياد ذلك فخطب الناس فاختص أول أمره وأمر أيه بالبصرة وعدد بلائه عند أهلها ثم قال: بايعتموني ثم مسحتم أيديكم بالحيطان وقتلتم ما قتلتم ثم هذا سلمة بن ذؤيب يدعوكم إلى الخلاف إرادة أن يفرق جماعتكم ليضرب بعضكم جباه بعض، وكان الذي أخبر ابن زياد بأمر سلمة بن ذؤيب عبد الرحمن بن بكرة ويكنى أبا الحر، فقال الأحنف بن قيس والناس: نحن نجيثك بسلمة، فأتوا سلمة فإذا معه جمع كثيف قد سافر إليه وإذا الفتق قد اتسع فامتنع عليهم فلما رأوا ذلك قعدوا عن ابن زياد فلم يأتوه، فقال: والله لقد لبسنا الخبز حتى أجمته جلودنا فما بنا إلى أن نعقبها الحديد أياماً والله لو اجتمعتم على قرن عنز

لتكسروه ما كسرتوه ودعا البخارية ومن كان من أصحاب السلطان إلى المحاربة معه فلم يجيبوه واعتلوا عليه فانغمس في الأزدي في بيت مسعود .

قال : وكان في بيت مال ابن زياد نحو ثمانية آلاف ألف درهم ، فقال للناس حين خطب : هذا فيئكم فخذوا أرزاقكم وأرزاق عيالاتكم وذريتكم وأمر الكتاب بتحصيل الناس وتقرير مالهم فلما رأى قعود الناس عنه وظهر سلمة كف عن ذلك وأمر بنقل المال حين هرب فهو يتردد في آل زياد . وقال له إخوته : والله ما من خليفة نقاتل عنه ولا تأمن أن يدال عليك فتعطب وتهلك ويذهب أموالنا ، وقال له عبدالله أخوه وهو ابن مرجانة : والله لئن قاتلت القوم لأقتلن نفسي بسيفي هذا ، فلما رأى عبيدالله ذلك أرسل إلى الحارث بن قيس بن صهبان الجهضمي فسأله أن يسأل مسعوداً أن يجيره فسأله ذلك فأباه فقال له الحارث : يا معشر الأزدي إنكم أجرتم زياداً فبقي لكم شرف ذلك وذكره وفخره ، فقال مسعود : أترى أن نعادي أهل مصرنا في عبيد الله وقد أبليناها فلم يكافنا ولم يشكر ، ما كنت أحب أن يكون هذا رأيك ، فقال : قد بايعته فيمن بايع ولن يعاديك أحد على الوفاء له فلما أبى مسعود على الحارث إجارة ابن زياد أنس إلى أم بسطام امرأة مسعود وهي ابنة حمه فقال لها : إني دعوت مسعوداً إلى مكرمة فأبأها وأنا أدعوك إلى أن تسودي نساء قومك أبداً وكلمها في إجارة ابن زياد فأجارتها ، ويقال : إنه أعطاها مائة ألف درهم كانت مع ابن زياد فأدخلته حجرتها وألبسته ثوباً لزوجها فلما جاء مسعود أعلمته ذلك فغضب وأخذ برأسها حتى خرج عبيد الله والحارث فحجزا بينهما وقال له عبيد الله أجارتني عليك وألبستني ثوبك وأكلت من طعامك وقد التفت علي منزلك وتلطف والحارث له حتى رضي ، فلم يزل في منزل مسعود حتى قتل مسعود ثم شخص

إلى الشام . وقال أبو عبيدة : وآل زياد ينكرون أن يكون ابن زياد شخص قبل قتل مسعود وأن يكون مسعود بعث معه من يردفه .

وقال يزيد بن ربيعة بن مفرغ شعراً ذكر فيه فرار ابن زياد من دار الإمارة إلى الأزدي ثم إلى الشام بعد مقتل مسعود وخذلانه وذكر هربه عن أمه وامرأته هند الفزارية :

أقرب لعيني أنه عق أمه دعته فولها أسته وهو يهرب
وقال عليك البأس كوني سبية كما كنت أو موتي فللموت أقرب
وقد هتفت هند به ما أمرتني ابن لي وخبرني إلى أين أذهب
فقال أريد الأزدي في عقر دارهم وبكراً فمالي عنهم متجنب
بما قدمت كفاك مالك مهرب من القوم يوماً والدماء تصيب
ولو كنت صلب العود أو ذا حفيظة كررت على هند وهند تشجب
وغادرت مسعوداً رهينة حتفه يمج نجيع الخوف وهو مُخلب
ولو لم يفت ركضاً حثيثاً حلقت بأشلائه في الجو عنقاء مُغرب
وقال أيضاً :

قدمت مسعوداً ليصلى حرها وفألت لما أن نعاها الناعي
أفلا مررت وراءه متشرباً لما أصيب دعا بحتفك داع
وتركت أمك والرماح شوارع ياليتني لك ليلة الأفزاع
ليس الكريم بمن يفارق أمه وبناية بالمنزل الجمعاع
وخذلت مسعوداً وطرت مولياً مثل الظليم أثرته بالقاع

قال أبو عبيدة : فهذا دليل على أنه إنما هرب إلى الشام بعد مسعود، وأنه حين قتل مسعود كان بالمصر لم يبرح .

قال أبو عبيدة : ولما هرب ابن زياد بقي الناس بغير أمير فلما لم يكن لهم أمير ارتضوا بنعمان بن صُهبان الراسبي وقيس بن الهيثم يختاران لهم فكان رأي قيس في عبدالله بن الأسود الزهري ورأي النعمان بن صُهبان في ببة وقال النعمان : هو هاشمي وابن أخت القوم الذين الملك فيهم لأن أم ببة هند بنت أبي سفيان، وكان النعمان شيعياً شهد مع علي صفيين وأقبلوا ببيتة فنزل دار الإمارة . قال أبو عبيدة : وكان ذلك برضا جميع الناس الأزدي وغيرهم، وقوم يقولون : إن ذلك لم يكن برضى الأزدي فقولهم باطل . قال الفرزدق :

وبايعت أقواماً وفيت بعهدهم وبيتة قد بايعته غير نادم

وقوم يروونه : وهو نائم .

(البلاذري - أنساب الأشراف ج ٤ ص ١٠١-١٠٥)